

خطاب حول الجنون أم خطاب المجنون

مقاربة فلسفية للجنون بين و الخطاب النيتشوي و الطرح الفوكوي

A speech about madness or a speech about madness?

A philosophical approach to madness between Nietzschean discourse and Foucauldian thesis

د.عماري خيرة

جامعة الجزائر 2/الجزائر، kheira.amari@univ-alger2.dz

تاريخ الاستلام : 2024/03/25؛ تاريخ القبول : 2024/09/27 ؛ تاريخ النشر : 2024/11/20

Abstract

المخلص

Madness is a human matter that has accompanied human existence since ancient times as a state of exception that has drawn the attention of everyone, regardless of their backgrounds. The general public deplores the insane and tries to banish him from the human fold. As for the elite, scientists, researchers, and philosophers have dealt with the issue of madness from different angles: doctors and psychologists. They considered it a medical condition that required treatment and follow-up. Sociologists considered it a departure from the social frameworks within a single society. As for the philosophers, they considered madness to be primarily a human condition, the truth of which cannot be approached through prejudices, no matter what its nature. Rather, it must be examined through human examples in which the moment of madness is mixed

In the moment of genius: Which makes us wonder about the boundaries between madness and genius? Where does madness begin and where does reason end? Can't madness be considered a discourse that goes beyond the conceptual tools that are socially termed, which makes it difficult to comprehend this discourse and thus place it in the category of madness? How can the discourse of reason convey to us a discourse about madness, given that the rational person is the one who talks about the madman? To approach these and other questions, I will use the philosopher Michel Foucault as a bearer of a discourse on madness

And the philosopher Nietzsche considered part of his philosophy as the speech of a madman

Keywords: madness, reason, genius, society, Nietzsche

الجنون شأن إنساني ، رافق الوجود البشري منذ القدم باعتباره حالة من الاستثناء استرعت انتباه الجميع باختلاف مشاربهم : فالعامة من الناس تستهجن المجنون و تحاول ابعاده من الحضيرة الإنسانية واما الخاصة من العلماء والباحثين و الفلاسفة فقد تناولوا موضوع الجنون من زوايا مختلفة : فالاطباء و علماء النفس اعتبروه حالة مرضية تستدعي علاجاً ومتابعة . وعلماء الاجتماع اعتبروه خروجاً عن الأطر الاجتماعية داخل المجتمع الواحد . اما الفلاسفة فقد اسوقفهم الجنون باعتباره حالة إنسانية أولاً ، لا يمكن الاقتراب من حقيقتها من خلال الاحكام المسبقة مهما كانت طبيعتها . وانما يجب الوقوف عندها من خلال نماذج بشرية امتزجت فيها لحظة الجنون بلحظة العبقرية : مما يجعلنا نتساءل عن الحدود الفاصلة بين الجنون و العبقرية؟ فأين يبدأ الجنون واين ينتهي العقل؟ ألا يمكن اعتبار الجنون خطاباً يتجاوز الأدوات المفاهيمية المصطلح عليها اجتماعياً مما يشكل صعوبة استيعاب هذا الخطاب فنجعله في خانة الجنون ؟ كيف يمكن لخطاب العقل ان ينقل لنا خطاب حول الجنون باعتبار ان العاقل هو الذي يتحدث عن المجنون ؟ ولمقاربة هذه الأسئلة و أخرى ساستعين بالفيلسوف ميشال فوكو كحامل لخطاب عن الجنون و بالفيلسوف نيتشه باعتبار جزء من فلسفته بمثابة خطاب المجنون

الكلمات المفتاحية : جنون، عقل، عبقرية، جتمع،

نيتشه

1. مقدمة:

خاضت الفلسفة موضوع الجنون باعتباره شأن إنساني، رافق الوجود البشري منذ القدم كتعبير عن حالة من الاستثناء التي استرعت انتباه الجميع باختلاف مشاربهم : فالعامة من الناس تستهجن المجنون و تحاول ابعاده من الحضيرة الإنسانية واما الخاصة من العلماء و الباحثين و الفلاسفة فقد تناولوا موضوع الجنون من زوايا مختلفة : فالاطباء و علماء النفس اعتبروه حالة مرضية تستدعي علاجاً و متابعة . و علماء الاجتماع اعتبروه خروجاً عن الأطر الاجتماعية داخل المجتمع الواحد . اما الفلاسفة فقد اسوقهم الجنون باعتباره حالة إنسانية أولاً ، لا يمكن بأي حال من الأحوال إقصاؤها تحت أي غطاء كان ، بل يجب الاقتراب من حقيقتها متجردين في ذلك من الاحكام المسبقة التي تحول بيننا و بين لحظة بلوغ المعرفة لهذه الظاهرة . هذه الظاهرة التي تتشابه وتتقاطع فيها الكثير من الابعاد العقلية، النفسية، الاجتماعية ، الأخلاقية ، الطبية ، السياسية . ولمقاربة الجنون – فلسفياً- يجب الوقوف عند الظاهرة من خلال نماذج بشرية امتزجت فيها لحظة الجنون بلحظة العبقرية : مما يجعلنا نتساءل عن الحدود الفاصلة بين الجنون و العبقرية ؟ فأين يبدأ الجنون و اين ينتهي العقل؟ و هل الجنون حالة من اللاعقل المطلق ؟ ألا يمكن اعتبار الجنون خطاباً يتجاوز الأدوات المفاهيمية المصطلح عليها اجتماعياً ممّا يشكل صعوبة استيعاب هذا الخطاب فنجعله في خانة الجنون ؟ كيف يمكن لخطاب العقل ان ينقل لنا خطاب حول الجنون باعتبار ان العاقل هو الذي يتحدث عن المجنون ؟ كيف يمكن للجنون ان يشهد على حقيقته ؟ ولمقاربة هذه الأسئلة و أخرى ستقو أولاً عند خطاب الجنون و الذي ساستثمر فيه النص النيتشوي واقف ثانية عند خطاب حول الجنون من خلال اركيولوجيا فوكو .

2 - المقاربة الدلالية لمفهوم الجنون :

وقد جاء في مجمل القواميس أن الجنون "زوال العقل، أو فساد فيه." والجنون بهذا المعنى يضاد العقل، أو يضعفه. وبما أن العقل في اللغة، حسب ابن فارس هو: "الحابس عن ذميم القول، والفعل" (فارس، 2007)، فإن الجنون بدون مكابح، يطلق العنان لأشكال القول، والفعل، خارج نطاق العقل، والرجل العاقل هو الجامع "لأمره ورأيه"، وإن الأمر إذ يختص بالسلوك، فإن الرأي يختص بالفكر

والإبداع. ويترتب عن ذلك أن الجنون، ما انزاح عن السلوك المعتاد، أو الفكر السائد، أو الإبداع المعقد. فالجنون إذن، تحلل، وتحرر من قوة العقل الضابطة للتأمل، والمعارف، والعلوم، والأخلاق. ويقال "جن الليل، أي أظلم". والجنون بصيغة أخرى، فقدان لنور البصيرة، والتميز. فالجنون اضطراب عقلي و افتقار إلى الحكم السليم ، و كل ما يخرج عن سيطرة العقل ، هذا في اللغة العربية. -في اليونانية تحيل كلمة جنون الى الكلمة اليونانية mania و التي بدورها تحيلنا الكلمات الآتية manie, maniaque et Ménades إذ يُطلق على الجنون اسم الهوس الذي ينشأ منه الهوس والمهوس وعبادة "النساء الغاضبات" لديونيسوس (Bacchantes عند الرومان). و إذل كان الجنون حالة من الاستثناء فأن تكون استثنائياً" تترجم الكلمة اليونانية per-ittos أو per-issos، أي الزائد، الذي يتجاوز القياس.

-أما في اللاتينية، تحيل كلمة الجنون الى مجموعة من الكلمات على غرار furor و التي بدورها تحيل إلى Furies و هو إسم إلهة الانتقام و الجرائم و الغضب والكلمات الموجودة في العائلة المعجمية كلها تحقير: الغضب انتقام و جرم . كما نجد قرابة اشتقاقية لكلمة جنون folie = feuille = feu

وتتقاطع الدلالات حول الجنون باختلاف اللغة عند غياب العقل ممّا يجعل الجنون غير قابل للمعرفة بالمعنى الفلسفي ، بل هو عائق أمام أي جهد معرفي. إلا أن الممتنع لتاريخ الفلسفة. يجد بعض الشذرات هنا و هناك .فبالنسبة لديكارت، يشير الجنون إلى حدود أو استحالة التفكير. يسميها هيغل "اضطراب الروح" الذي يعطل انسجام الجسد والروح (ظاهراتية الروح، 1807). كما خلد مسرح شكسبير العديد من الشخصيات المجنونة على غرار ماكبث، هاملت، و عطيل . بالإضافة إلى الروايات والحكايات والقصص القصيرة التي تسكن ذاكرتنا بصور قوية من الجنون مثل مجنون وليلى، و كتاب سجلات الجنون بقلم ستايرون، لكن إلى أي حد يمكن الاقتراب من حقيقة الجنون إذا كان الآخر العاقل هو الذي يتكلم و يكتب عن الجنون مستعينا بمقولات الإنسان العاقل؟ و التي قد تحجب عنا الكثير من حقيقة الجنون ؟

وإذا كان نيتشه كثيرا ما يوصف بالفيلسوف المجنون ؟ فهل يمكن اعتبار بعض نصوصه الفلسفية كخطاب المجنون - ذاته-؟ خاصة و ان المشتغلين بفلسفة هذا الرجل يكاد يجمعون على خروج

فلسفة نيتشه عن النسق الفلسفي السائد ؟ مما جعل البعض يتساءل هل كان بإمكان نيتشه أن يكتب ماكتبه لو لم يكن مريضاً؟.

في مقابل الفيلسوف ميشال فوكو الذي كتب عن الجنون و نقله الى مصف الموضوعات الفلسفية بعدما كان المسكوت عنه في العصور السابقة . فكيف حفر ميشال فوكو في مقولة الجنون؟.

3- خطاب الجنون في المتن النيتشوي :

نيتشه الفيلسوف الذي يكتب حياته ، وفلسفته هي حياته . فلسفة تؤدي إلى الجنون: كبرياء الرجل الخارق المدمر و المتأمل في نصوصه يكشف ذلك التميز الذي اخرج فلسفته عن النسق مما جعل بعض الدارسين لنيتشه يقولون انه عاش تجربة الجنون و أن ما كتبه يمثل الى حد بعيد خطاب المجنون، لقد ناضل نيتشه نفسه للتغلب على حالات الطوارئ التي يواجهها، ولا سيما المراحل الاكتئابية للاضطراب ثنائي القطب. في مراحل تجديده، كان لديه انطباع بأنه على علاقة مألوفة مع الآلهة.(Sebastian, 2007)

وكانت حياته وفلسفته مفعمة بتحويلات متواصلة في مزاجه وصحته وإبداعه، إلى غاية السنة الأخيرة من حياته التي شهدت تسارعاً مذهلاً في إنتاجيته، كما لو كان يكافح ضد موعد نهائي كان يتوقعه منذ فترة طويلة. وقت. لقد سعى العديد من النقاد والأطباء إلى فهم هذه الرحلة غير العادية، والتأثير الذي قد يكون لمرض نيتشه على أفكاره. فالجنون عند نيتشه تصنعه الجماعة عندما ترفض المختلف و تسعى لإقصائه حيث أو كما قال : الجنون نادر عند الفرد ولكنه شائع عند الجماعة (نيتشه، 2007) " و في سياق آخر قال :هناك دائماً القليل من الجنون في الحب، لكن هناك دائماً القليل من العقل في الجنون." (نيتشه، 2007) و كأنه يدرج مقولة الجنون ضمن مقولات العقل و ليس اللاعقل . و قد اجمع المشتغلين بفلسفة نيتشه على ان انتاجاته الاخيرة التي تزامنت مع حدة مرضه كانت الاكثر غزارة و خصوبة .و كانت "صرخة نيتشه الأخيرة... هي في الواقع إبادة العمل ذاته... حيث يجب عليه أن يبقى صامتا؛ لقد سقطت المطرقة للتو من يدي الفيلسوف".(catonné, 2017) انهار نيتشه في 3 يناير 1889 ثم دخل في عملية عجز بلا عودة، تقول الشائعات أن نيتشه شهد في ذلك اليوم مشهداً وحشياً: رأى سائقاً يضرب حصاناً قديماً. غمرته الشفقة، وهو يبكي، وألقى بنفسه

على رقبة الوحش الشهيد بحركة وقائية، ثم انهار. نيتشه يرقد على الأرض. يتوقف المارة ويحيطون به. يتعرف مالك العقار، دافيد فينو، الذي أثار اهتمام الجمهور، على الفيلسوف ويعيده إلى المنزل. هناك، في حالة شفق، يمتد نيتشه على الأريكة. يبقى صامتًا، ساجدًا، مكسورًا. وينتهي به الأمر بالنوم. عندما يستيقظ، فقد الإحساس بهويته، وأصبح لديه شعور بأنه المسيح أو ديونيسوس.

بين 3 و7 يناير، بقي نيتشه متحصنًا في غرفته. في الليل، يوقظ المستأجرين الآخرين في المنزل الداخلي بأغاني وصيحات وارتجالات على البيانو ومونولوجات طويلة وصاخبة. خلال هذه الأيام الأربعة، كتب عددًا كبيرًا من الرسائل الموجهة إلى ملك إيطاليا ("إلى ابني الحبيب أمبرتو")، وإلى البابا، وإلى الأصدقاء والمعارف. أرسل إلى جورج براندس رسالة مليئة بالتقدير والامتنان: "إلى الصديق جورج! بعد أن اكتشفتي، لم يعد العثور علي أمرًا كبيرًا؛ الصعوبة الآن هي أن أفقد نفسي..." (نيتشه، 1989).

في هذه الرسائل، غالبًا ما تضع المقاطع الواضحة والسامية في عالم غير واقعي، حيث ينحرف خيال الفيلسوف الجامح دون دفة. أرسل رسالته الأخيرة إلى جاكوب بوركهارت، في بازل، أستاذ التاريخ والصديق. في هذه الرسالة يقدم نفسه على أنه الله ويدعوها للانضمام إليه. بعد قراءة هذه الرسالة، يدرك بوركهارت أن نيتشه فقد عقله. وهو ينبه فرانز أوفربيك (لاهوتي بروتستانتي مقرب من نيتشه) الذي تلقى بنفسه الرسالة التالية: "إلى الصديق أوفربيك وزوجته. على الرغم من أنك لم تظهر حتى الآن سوى الحد الأدنى من الثقة في ملائي، إلا أنني أمل أن أثبت مرة أخرى أنني شخص يسدد ديونه - لك، على سبيل المثال... الآن أطلب منه إطلاق النار على جميع المعادين للسامية... ديونيسوس م طلب أوفربيك من البروفيسور إل. ويلي، رئيس مستشفى بازل للأمراض النفسية، النصيحة. يقترح ويلي أن يذهب إلى تورينو على الفور. في نفس المساء، انطلق أوفربيك بنية إعادة صديقه إلى وطنه ((ht1. وهو الأمر الذي يمكننا أن نطرح عليه تشخيص الخرف الزهري باعتباره الأرجح. في دراسة حديثة، تناول فرنانديز زويلا جميع الوثائق الطبية المتاحة (Fernandez-Zoila, 1999). وهو يعتبر تشخيص مرض الزهري مع التهاب السحايا والدماغ والأوعية الدموية مؤكدًا، وهو ما يفسر الشلل العام التدريجي الذي تطور عند نيتشه حتى وفاته، والذي حدث في أغسطس 1900. كان الدخول إلى الخرف معاصرًا لموريا، الفرع المرضي، الذي، في لقد تجلى نيتشه في حالة من

الإثارة، تخللتها لحظات من السجود، وهي صورة سريرية افتتحت بالفعل تطور العجز. هناك. ولذلك يرفض المحاكاة، وهي كوميديا تستعير أقنعة الجنون. قبل كل شيء، فهو . وفي حين أن الأول يمكن أن يصاحبه قدرة إنتاجية، نفسية أو غير ذلك، بالنسبة لنييتشه، كان معاصرًا لتأليف هذا الإنسان ونييتشه ضد فاغنر. ولم تكن الإثارة المبهجة حينها مصحوبة بأي علامة على الضعف الفكري. هناك. لا يحدد أي خطأ واضح ويختتم بحق بقبول هذين العاملين الأخيرين باعتبارهما فلسفيين أصليين .

لكن هل يجب أن نميز عند نييتشه بين ما قبل الجنون وما بعد الجنون؟ إن نييتشه مات مجنونًا، لا أحد يشك في ذلك. لا يوجد نقص في الروابط بين إقامته في المصح، أو طفولته في حوض الاستحمام، أو رقصاته "الديونيسية" المرتجلة آنذاك، أو سجوده في منزل أخته إليزابيث، خلال السنوات الست الأخيرة من حياته، حيث جاء التلاميذ المذهولون للإلقاء نظرة متواضعة عبر باب غرفته نصف المفتوح، ليلاحظوا، بلا شك، حزينين القلب، حالة التدهور المؤسفة التي وجد الرجل العظيم نفسه فيها الآن: غير قادر على أدنى حركة، وعيانه وحدهما في بعض الأحيان يتدحرجون في مدارهم، ويطلقون أحيانًا في الليل زئيرًا رهيبًا لحيوان جريح.

اقترح بيتر سيوستند مؤخرًا تفسيرًا آخر (Fernandez-Zoila, 1999) والذي استند بشكل مقنع إلى شهادات عديدة، لا سيما من مراسلات الفيلسوف مع والدته وشقيقته: تفسير نييتشه الذي دفع نفسه إلى الجنون على مر السنين من خلال اللجوء المفرط إلى الكحول والمخدرات القوية المختلفة، فرضية تدعمها بعض الملاحظات للفيلسوف نفسه: "دعونا نتقدم خطوة أخرى إلى الأمام: بالنسبة لجميع هؤلاء الرجال المتفوقين الذين دفعوا بشكل لا يقاوم إلى كسر نير الأخلاق أيا كان وإعلان قوانين جديدة، لم يبق لديهم أي شيء يفعلونه، عندما كانوا ليس مجنونًا حقًا، من أن يصبح مجنونًا أو يحاكي الجنون (nietzsche, 2012) و قد تم اختيار الجنون كاستراتيجية متعمدة للرجل المتفوق: الإنسان الخارق الانسان الاعلى ومع ذلك، فإن فرضية شوستند لا تستبعد فرضية الخرف التدريجي، حيث غالبًا ما يستحضر نييتشه نوباته المرضية، ومن هنا جاء هاجس العودة إلى الصحة الذي يميز مقالاته: "الصحة العظيمة - الصحة التي لا يكفي أن يمتلكها، ولكن يجب أن يمتلكها باستمرار". يتم غزوه وإعادة احتلاله" (NIETZSCHE, 1992)، وهو ما يبرر، وفقًا له، لجوئه غير الحكيم إلى درجة أنه أصبح جامحًا، للكحول - معرفته بالمواجهات مذهلة في قدرته على الاستيعاب -، للمواد الأفيونية - لقب

الأفيون. المدمن كافٍ - وهيدرات الكلورال. يقول نيتشه: «من غزارة حياته، يجمع الإنسان الخارق بين رؤى مدمن الأفيون والجنون والرقص الديونيسي

أجبر جنون نيتشه الأخير المعلقين الذين اعتبروه فيلسوفًا جدّيًا، بل وواحدًا من أكثر الفيلسوفين اختراقًا على الإطلاق، على التمييز في كتاباته بين ما قبل الذهان وما بعده. غالبًا ما تُعتبر كتابته لسيرته الذاتية Ecce Homo، والتي كان فيها ناقدًا ومدحًا لأعماله، نقطة التحول بين الصحة والمرض العقلي. في الواقع، ليس هناك نقص في المقاطع التي، في هذا النص، الذي لم يسبق كتابته سوى ثلاثة أو أربعة أشهر، تم وضعه في يناير 1889 في مصحة في بازل، بناءً على طلب صديقه فرانز أوفربيك، بعد أن تمكن فقط من ملاحظة تدهوره العقلي. ، يتحدث عن نفسه كإله. لذلك عندما يكتب: "روما، مدينة مثل التي سأجدها يومًا ما..." أو "إن الخلود يدفع ثمنًا باهظًا..." عندما يكون من الواضح أنه لا يتحدث عن شخصيته زرادشت بل عن نفسه . أفاد كاتب سيرته الذاتية يواكيم كولر أنه اقترب من المارة، موضحًا لهم أنه إله، احترامًا لدونية الجنس البشري، اتخذ مظهر مهرج.

4-جنون نيتشه: حدود يجب تحديدها

إذا خُسرت المعركة مقدمًا لإقامة حدود يمكن الاعتماد عليها بين كون نيتشه عقلًا وبين نيتشه فريسة الجنون، فإن الاختيار هو ما يلي: اعتبر أنه كان مجنونًا دائمًا، مما يعني ضمناً عدم منح أي مصداقية لأي من كلماته، وبالتالي تشويه سمعة الجميع. أو اعتبر على العكس من ذلك أنه لم يكن مجنونًا أبدًا وأنه نقل إلينا رسائل جوهريّة، حتى في الأوقات التي يؤكد فيها أنه غير ديونيسوس، الإله ثنائي الجنس، وبالتالي الشيطان المسيح الدجال. من الديانة المسيحية.

عندما يغرق نيتشه، يخترع الإنسان الخارق كعوامة للتثبيت بها، كنسخة من نفسه ليست سالمة وسليمة فحسب، بل والأفضل من ذلك، مضخمة. إن شعبًا بأكمله يغرق أيضًا، بعد حوالي خمسين عامًا، سوف يتمسك بنفس عوامة وهم جنون العظمة وينشر الدمار الشيطاني في العالم.ونقل غوبلز كلمات هتلر: "إن نيتشه أقرب حتمًا إلى الطريقة التي نرى بها العالم من شوبنهاور، لأن مهمة الفلسفة هي تبسيط الحياة وتكثيفها، وليس تغطيتها بحجاب من التشاؤم". في عام 1934، خطط هتلر لإقامة نصب تذكاري لمجد زرادشت، تكريمًا لنيتشه، والذي كان سيحتوي على تمثال لديونيسوس، هدية من

موسوليني، وهو أيضًا قارئ متحمس للفيلسوف الذي يعتقد أنه هذا الإله. اعتمدت قوات الأمن الخاصة شعار زرادشت كأحد شعاراتها: "المجد للرجل الفولاذي".

5- خطاب حول الجنون في اركيولوجيا ميشال فوكو:

يعد كتاب ميشيل فوكو تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي، تحليلًا انتروبولوجيًا للجنون عن طريق منهجه الأركيولوجي. حيث يقف عند تاريخ الجنون و يكتشف انه لم يكن يعتبر دائمًا مرضًا عقليًا ، إنما طريقة النظر إليه تختلف وفقًا للسياق الثقافي لكل حقبة تاريخية . حيث يقول " في فجر عصر النهضة، كان المجنون شخصية رئيسية كما يتضح من أعمال هيرونيموس بوش (حوالي 1453 - حوالي 1516) أو بيتر بروغل الأكبر (حوالي 1525-1569)، ولكن أيضًا الموضوع الأدبي والتصويري لـ "لا نيف دي فو" الذي تخيله الكاتب ستراسبورغ سيباستيان برانت (1458-1521) في عام "1494. (Foucault, 1972). ثم أصبح الجنون ساحرًا لأنه يُنسب إليه قوى مزعجة ومعرفة مقصورة على فئة معينة: صور نهاية العالم، والبهيمية الهزلية، والتواطؤ مع قوى الشر... ومع ذلك، في مديح الجنون، يرى إيراسموس بالفعل خطأً فادحًا يُعزى إلى ضعف الرجال وأوهامهم: "إنه، أقبح من القرد، يرى نفسه جميلًا مثل نيريا [...]؛ وهذا الآخر يعتقد أنه يغني مثل هرموجنيس، عندما يكون الحمار أمام القيثارة وصوته كاذب مثل صوت الديك وهو يعرض دجاجته. »

وإذا كان عصر النهضة قد أعطى للجنون بعدا كونيا يسمح للمتأثرين به باكتشاف عوالم غريبة، فإن العصر الكلاسيكي ألزم المجنون بالصمت من خلال تحديد قاعدة اجتماعية تميز العقل واللاعقل. في عام 1656، افتتح إنشاء المستشفى العام في باريس عصر "الحجز الكبير": حيث كان المجنون يُسجن إلى جانب المنحرفين والفاسقين والمهمشين والمتسولين، أي كل من يشكلون عبئًا على المجتمع. في نهاية القرن الثامن عشر، تم عزل المجانين وتجميعهم معًا في المصحات: وأصبح من الممكن حينها إضفاء الطابع الطبي على الجنون، باعتباره مرضًا عقليًا. (Foucault, 1972) و منذ القرن العشرين، أصبح للطبيب السلطة الكاملة على مريضه.

يقول فوكو أنه لا يوجد شيء عالمي في الطب النفسي الأوروبي، بل هو بناء اجتماعي وتاريخي قائم على الإقصاء. حيث يشرح لنا كيف تعامل المجتمع مع الجنون منذ العصور الوسطى ويوضح أن الرجل المجنون لم يكن دائماً الشخص الهامشي المنعزل. الجنون له تاريخ، والمجنون له وظيفة في المجتمع. تم الاعتراف به في مجتمع القرية في العصور الوسطى. كما نجد نجد في أدب القرن السادس عشر، ومرة أخرى في الأدب الباروكي في بداية القرن السابع عشر، العديد من التلميحات إلى هذه الشخصيات المجنونة التي أمتعت الجمهور، بل كان هناك بعض المشاهير الذين كتبوا الكتب. في بداية القرن السابع عشر، نشر أعمالاً شخص وقع على نفسه "كونت الإذن" وكان مجنوناً مشهوراً تحميه أعظم العائلات الفرنسية ويعيش على خطافها.

سيتم حبس المجانين أولاً في الجذام، لكن في القرن السابع عشر أصبحوا مهمشين حقاً. وقد رحب به المستشفى العام، الذي أنشئ عام 1657، بين عدد من المتشردين والفساق.

"كانت هناك مؤسسات استشفائية، يديرها على وجه الخصوص رجال دين، منذ العصر الحديث، ولكن في القرن التاسع عشر تطورت شبكة من مصحات المجانين. وسيوضح القانون في أي الحالات يمكننا اعتقال أحد المرضى. "شخص مريض، هذا هو قانون عام 1838. سيكون هذا اللجوء ناجحاً جداً في نهاية القرن التاسع عشر، المصحات مكتظة تماماً". (Foucault، 1972)

جعلنا فوكو نشعر بالتغيير الوحشي الذي يحدث في شكل الإقصاء في العصر الكلاسيكي، في منتصف القرن السابع عشر: الأسلوب الوضعي "يصنع" الجنون الذي يحبسه في المرض العقلي: من خلال هذه البادرة الإبداعية للاغتراب مع تأثير المرأة، يعين الإنسان الحديث في المجنون حقيقته المغترية، وهو ما يرفضه. الجنون، من المرئي والثرثار، يدخل إلى الصمت: بعد أن أفرغ من لغته، لم يعد قادراً على التحدث عن نفسه: فهل يُخصص للمجنون الصمت مثل الحيوان المحروم من الكلام؟ يرى فوكو أن الإنسان المجنون منفصل عن حقيقته، ولا يمكنه أن يكون موضوع تاريخه. ومن هنا انعدام الثقة، وتمرد الفيلسوف تجاه المعرفة التي تدعي أنها تجلب الجنون، ولا تؤدي إلا إلى خلق اغترابات جديدة. ومن هنا أيضاً جاء اهتمامه بالروابط بين المعرفة والسلطة، وعلاقة القوة الكامنة في كل علاقة مع الآخر. فكان الرهان هو أن يستعيد المجنون لسانه. وإلا فإن لغة "العقل" يمكن أن تصبح بدورها مجنونة. فالجنون لا يُستفد أبداً في الخطاب. ويظل ذلك الشيء الغامض، الذي

لا يمكن الوصول إليه في حقيقته الكاملة، لذلك يُظهر فوكو أن الجنون يبهر ويزعج لأنه يمثل مكان المعرفة غير المرئية: فالمجنون مستتير، وأحياناً منير، والذي لا يفشل في استدعاء حظر المعرفة والرقابة.

ويقارب فوكو الجنون من منظور الشك الديكارتى، و يعتبره انقلاب على قوة الكوجيتو: باعتباري ذاتاً مفكرة، لا أستطيع أن أقول: "أنا مجنون"، ذلك أن جنون الذات التي تفكر ممنوع، بل بالأحرى: "الآخر" مجنون. و ليست الذات. إذ يُفهم الجنون هناك على أنه اختلاف جذري. كما يبدو أن فوكو يتمسك بملاحظة العجز عند "الرجل المجنون" الذي يفقد حريته ب في اللحظة التي يمتلكها ويصبح أسيراً لنفسه، لحقيقته - وخيبة أمله تعطي مقياساً لتوقعاته (Foucault، 1972).

وفي قلب فكر ميشيل فوكو تكمن مسألة عمليات التبعية الناجمة عن العلاقة مع أنظمة السلطة. إنه يفكر فيهم أولاً من خلال تحديد الجنون على أنه إقصاء، لأنه يفرض نفسه من حادثة القرن السابع عشر و"الحبس الكبير". وأولاً وقبل كل شيء، من خلال عمليات الاستبعاد، سيحدد العلاقة مع القاعدة، في البعد المزدوج لـ "السيادة"، ثم "الانضباط". ومن ثم فإنه سيحدد الممارسة الطبية، في ولادة العيادة، باعتبارها مؤسسة لعلاقة المعرفة بالسلطة التي تنفر وتضفي طابعاً ذاتياً في نفس الوقت. وهي مفارقة لا يتوقف عمله عن التشكيك فيها أبداً، والتي ستأخذ شكل مفهوم السياسة الحيوية. إن العمل في الأرشفات، وكذلك التواجد في الميدان، مع المجانين ومع السجناء، يشهد على هذه الحقيقة بأن "الرجال سيئي السمعة" و"الشاذين"، تماماً مثل أشكال "اليوتوبيا المغايرة"، يبنون مرآة لما نسميه "المجتمع"، على أساس "حكومة الذات والآخرين".

6-الخاتمة

الجنون استثناء بشري تطرح عنده العديد من التساؤلات : هل الجنون مناقض للعقل ؟ او هو حالة اللاعقل ؟

هل الجنون ضعف أم هو القوة بكل مقاييسها ؟ من هو الناطق الرسمي للجنون ؟ هل هو المجنون ذاته ام العاقل ؟ و هل التاريخ انصف خطاب المجنون أ/ ما كتب عن الجنون ؟ اسئلة كثيرة تكاد لا تنتهي و نحن نقارب مسألة الجنون عند الفلاسفة . حيث اقترن هذا لاسم بالعديد من الفلاسفة اللذين وصفوا بالمجانين .لأنهم مختلفون لانهم يكتبون بشكل مختلف . نيتشه كان واحدا من هؤلاء حيث

جاءت فلسفته بكتابة شذرية تستوقف العقل النسقي مما جعل المشتغلين بفلسفته يرجعون هذه العبقرية في الكتابة الفلسفية الى هذا الجنون الذي خالط عقله الفلسفي هذا من جهة و من جهة اخرى نجد الفيلسوف ميشال فوكو الذي حفر في مقولة الجنون فاستدعى التاريخ في مرحلته الكلاسيكية التي شهدتها اوربا ليقف عند الارشيف و يكتشف ان الجنون يخفي ممارسات سلطوية اجتماعية، فالجنون في تصويره يصنعه المجتمع قبل ان يكون حالة فردية .

قائمة المراجع

(s.d.). Récupéré sur <http://www.cairn.info/revue-psychotherapies-2005-1-page-21.htm>

catonné. (2017). *le genie est-il voisin de la folie*. Récupéré sur <https://olivierdouville.blogspot.com/2017/08/le-genie-est-il-voisin-de-la-folie-un.html>

Fernandez-Zoila. (1999). *Nietzsche et ses maladies* . paris: Harmathan.

Foucault. (1972). *Histoire de la folie a l'age classique* . paris : gallimard .

NIETZSCHE. (1992). *Ecce homo*. flammation.

nietzsche. (2012). *AUORE* . FRANCE : FLAMMARION.

Sebastian, D. (2007, MAI 1). *CERVEAU & PSYCHO*.

فارس، ا. ا. (2007). *معجم مقاييس اللغة* . مصر: دار الفكر .

نيتشه. (2007). *هكذا تكلم زرادشت* . منشورات الجمل.